العـدد
الثامن
تُـوزّع مجانا

بيـــادر

هذا التكديس المتعمد حوّل خيام النازحين إلى حاضنة وبائية عملاقة؛ فلم نعد نتحدث عن آفات طبيعية فحسب، بل عن جيل من "الجرذان المستوحشة" المهجنة، و"العِرْس" المفترسة التي باتت تهاجم الأطفال الرضع في مضاجعهم، بالتوازي مع أسراب من البعوض والحشرات المجهولة التي تنهش أجساد الصغار والكبار، مسببة أمراضًا جلدية وتقرحات.

▪ التتمة ص٣

مجلة دورية تعنى برصد ومعالجة الانعكاسات الاجتماعية لحرب الإبادة «الاسرائيلية» على غزة

اقرأ في هذا العدد

غزة تغرق في النفايات ..

طالع أيضاً

طـــالع الحكاية

هكـــذا قتلت "إســـــرائيل" أطفال عائلة الصليـــــبي

مخيم

نحن صوتكم

نحن لسنا خبراء في عمل البلديات، ولم نخضع لدورات مكثفة في آليات التعامل مع تكدس النفايات، لكن من بديهيات القول إن اهتمامك بنظافتك الشخصية، ونظافة المكان الذي تنام وتأكل فيه، والحفاظ على المكان العام الذي تتواجد فيه، هو الحد الأدنى مما هو مطلوب. فلم يعد الأمر بعدًا أخلاقيًا ووعيًا فحسب، بقدر ما أصبح مهمة وطنية في المقام الأول.

فريق التحرير

غزة تغرق في النفايات..
حرب أخرى تلاحق الناجين

مخيم – مها إبراهيم

في الساعة الأولى التي أُعلن فيها انتهاء الحرب والحملات العسكرية الإسرائيلية الواسعة على قطاع غزة، بدأت الحرب الحقيقية بالنسبة لأهالي غزة، من خلال تكاثف الأزمات الاجتماعية والبيئية والمالية والصحية والأسرية.. إلخ.

إحدى تلك الأزمات أو الملفات، التي تستفحل وتمتد على مدار اللحظة، هو تكدس النفايات في الطرقات وبين الخيام، فبحسب بيان للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، صدر في يونيو/حزيران الماضي ٢٠٢٦، يواجه أكثر من مليوني فلسطيني يعيشون في قطاع غزة كارثة بيئية وصحية خطيرة، ناجمة عن تراكم مئات آلاف الأطنان من النفايات الصلبة بين التجمعات السكانية ومراكز الإيواء وخيام النازحين المنتشرة في الشوارع، وتسرب مياه الصرف الصحي، وانتشار القوارض والحشرات بكثافة، وهو ما يهدد حياة السكان وصحتهم، ويضيف بُعدًا جديدًا إلى معاناتهم الإنسانية المتفاقمة.

عادةً ما يُعرف أهل قطاع غزة بمستوى نظافتهم على الصعيد الشخصي والعام، لكن في زمن الإبادة قلبت كل شيء؛ فقد تراكمت النفايات في كل الأمكنة والأزقة والشوارع بعدما مُنعت فرق البلديات من الوصول إلى المكب الرئيسي للنفايات في غزة، بمنطقة جحر الديك المجاورة للحدود مع "إسرائيل"، مع بدء الحرب في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣.

دفع ذلك العديد من النازحين إلى إيجاد بدائل للتخلص من النفايات، خاصة في مراكز الإيواء والنزوح. وكان المشهد في البداية قاسيًا؛ نفايات تحيط بالمواطنين وتنبعث منها روائح كريهة، ولا يستطيع أحد التخلص منها بسبب خطورة الأمر، خاصة عند محاولة حرقها، فضلًا عن عدم توفر الأدوات والمعدات اللازمة لجمع النفايات ونقلها والتخلص منها.

أما مبادرات التخلص من النفايات، فكانت ولا تزال خجولة، وتقتصر في كثير من الأحيان على قيام بعض الأفراد بجمعها وتكويمها بين المناطق السكنية، في ظل تعطل عمل البلديات وعجزها عن نقل النفايات إلى الأماكن المخصصة لها، لعدة أشهر متواصلة.

ومن حين إلى آخر، تنطلق حملة نظافة ميدانية بمشاركة طواقم البلديات والعاملين في قطاع الخدمات البيئية ومتطوعين، وتستهدف عددًا من شوارع مدينة غزة وأحيائها المحيطة، وتشمل الحملة جمع النفايات المتراكمة وترحيلها وتنظيف الأرصفة والطرقات، لتعزيز الوعي البيئي والحفاظ على الصحة العامة رغم الظروف الصعبة.

وتُقدّر كمية النفايات الصلبة منذ بداية الإبادة بنحو ٩٠٠ ألف طن، فيما تُقدّر كمية النفايات الصلبة التي تُنتج يوميًا بنحو ٤ آلاف طن. في المقابل، تصل عمليات الجمع إلى نحو طنّين ونصف، ما يعني أن جزءًا كبيرًا من النفايات كان يبقى متراكمًا في مكانه وتحديدا بين المناطق السكنية خاصة في مخيمات النزوح.

وللإشارة، كانت غزة قبل زمن الإبادة، تنتج نحو ١,٧٢٦ طنًا من النفايات يوميًا، أي أكثر من ٦٣٠ ألف طن سنويًا.

لماذا السخرية؟!

الشاب مجدي أبو حسنين (٣٤ عامًا) عكس أقارنه، يسكن في خيمة قرب شاطئ ميناء غزة، عند مسجد الحساينة، ويقضي معظم وقته في طرد الحيوانات، والحفاظ على خيمته الصغيرة من دخول الحشرات، حتى إن من حوله يسخرون من انشغاله الدائم بالتنظيف، بحجة أن المنطقة بأكملها ملوثة، ولا جدوى من التنظيف المتواصل.

يقول أبو حسنين لمجلة "المخيم": "الجميع يسخر مني، لكنني أخشى الموت بسبب الأمراض الناجمة عن النفايات (..) أحاول التنظيف بشكل مستمر، كما أنظف المخيم بجهدي الشخصي، وفي بعض الأحيان يساعدني بعض الشباب في التخلص من القوارض التي تتسلل إلى خيامنا، وتقلق حياة الأطفال والنساء".

ويذكر أن عمال البلدية أصبحوا يأتون من وقت إلى آخر، لكن خلال اشتداد القصف لم يكن أحد قادرًا على التخلص من النفايات أو حرقها، خوفًا من استهداف المكان، مشيرًا إلى أن الاحتلال، منذ اللحظة الأولى لبدء الإبادة الجماعية، كان يتعمد شن حرب بيولوجية.

ويحكي أن قصف شبكات الصرف الصحي فاقم الأزمة، خاصة بالنسبة إلى المرضى وكبار السن والأطفال، الذين يعانون الاختناق جراء الروائح الكريهة التي تعم المكان، فضلًا عن وصول مياه الصرف الصحي إلى خيام النازحين بسبب تكدسهم في المنطقة.

وكان طارق الهباش، المدير التنفيذي لمجلس الخدمات المشتركة لإدارة النفايات الصلبة في محافظتي خان يونس ورفح والمنطقة الوسطى، قد قال إنه منذ اليوم الأول لاندلاع الحرب في ٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، منعت قوات الاحتلال الوصول إلى المكبات الرئيسية، وعلى رأسها مكب الفخاري المخصص للمحافظات الجنوبية، ومكب جحر الديك المخصص لمدينة غزة وشمال القطاع.

تحوّل المنزل إلى مكب نفايات

حين عادت كريمان البردويل (٤٢ عامًا) من مكان نزوحها وسط القطاع إلى منزلها شبه المدمر في حي النصر، صُدمت حين وجدته عبارة عن مكب للنفايات.

تقول البردويل، الأم لثلاثة أطفال: "حاول زوجي، بمساعدة الجيران، تنظيف المكان قدر الإمكان، واضطررنا إلى حرق جزء من النفايات، فالعيش بين أنقاض منزلي أهون من العيش في خيمة".

لا يعني حرق النفايات انتهاء معاناة الأم؛ إذ بدأت رحلتهم مع هجوم القوارض التي عشّشت في المكان.

وتكمل: "ذات ليلة، استيقظ ابني كرم، البالغ من العمر ثلاث سنوات، وهو يصرخ بعدما عضّته «عرسة»، وسرعان ما تمكنا من نقله إلى المستشفى وتلقي العلاج اللازم، خاصة أنه أصيب بارتفاع في درجة الحرارة".

وتكمل: "بفعل انتشار النفايات في كل مكان وصعوبة التخلص منها، باتت معركتنا مع القوارض داخل المنزل مستمرة (..) ورغم محاولات التنظيف وتأمين المكان لمنع دخول القوارض «العرس والفئران»، فإنها كانت تقتحم حياتنا باستمرار، فضلًا عن الأمراض الجلدية التي أصابت أطفالي، في ظل عدم توفر كريمات ومراهم ذات فعالية كافية في القطاع".

وكان للدكتور رائد أبو سرية، اختصاصي الأمراض الجلدية، قول يؤكد معاناة النازحين؛ إذ ذكر أن عدد المرضى الذين يراجعون العيادات بسبب مشكلات جلدية مرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بانتشار النفايات والقوارض والحشرات والمياه قد ارتفع بشكل لافت.

وأوضح أن من أبرز هذه المشكلات الحكة الشديدة والطفح الجلدي، بالإضافة إلى حالات من الالتهابات الجلدية البكتيرية الناتجة عن الحك المتكرر لمواضع لسعات الحشرات.

طريق العمل محفوف بالنفايات

"طريق الموت هو طريق عملي".. هكذا تصف المنشطة آيات أبو علوان الطريق الذي تسلكه يوميًا إلى عملها.

فهي تعمل في مركز إيواء على تنشيط الأطفال، وحثهم على التفريغ النفسي من خلال اللعب والرسم، لكن قسوة عملها تبدأ منذ لحظة خروجها من منزلها في شارع الجلاء باتجاه حي الدرج.

تصف آيات طريق عملها بـ"الرمادية"، وإن الروائح تكاد تخنقها، خاصة خلال الأشهر الماضية، وقبل انتشال جثامين الشهداء ودفنها، حين كانت الكلاب تنهش الجثامين.

وتحكي لمجلة "المخيم": "بقيت لأكثر من عام لا أخرج من مكان نزوحنا، بفعل تراكم النفايات والروائح الكريهة، ومشاهد الكلاب وهي تنهش جثامين الشهداء بحثًا عما يسد جوعها".

لكن عملها في مركز الإيواء كان ينتظرها، وكذلك الأطفال الذين اعتادت أن تمنحهم مساحة للعب والتفريغ، فكانت تجبر نفسها على الخروج.

لم تعد آيات تخشى الطريق فقط، بل أصبحت تخشى أن تعتاد عليه؛ أن يصبح منظر النفايات طبيعيًا، ورائحة الموت جزءًا من يومها، وأن تتحول مشاهد الألم التي كانت تهزّها في السابق إلى تفاصيل عابرة في حياة مدينة أنهكتها الحرب.

وتتمنى أبو علوان أن تستمر مؤسسات المجتمع المدني في إطلاق مبادرات دائمة لتنظيف الطرقات، وإدخال المعدات اللازمة لإزالة النفايات والركام، بما يسهم في تحسين الظروف المعيشية للسكان والتخفيف من معاناتهم اليومية.

من جانبه، ذكر رئيس بلدية غزة يحيى السراج، في يوم البيئة العالمي، أن البيئة في قطاع غزة تتعرض لكارثة غير مسبوقة نتيجة تراكم النفايات وتلوث مصادر المياه وتدهور الخدمات الأساسية، مشيرًا إلى أن استمرار هذه الظروف ينذر بتداعيات صحية وإنسانية خطيرة على أكثر من مليوني مواطن.

وشدد السراج على أن البلديات تعمل بإمكانات محدودة للغاية في ظل النقص الحاد في الوقود والآليات والمعدات اللازمة لجمع النفايات وترحيلها، موضحًا أن استمرار إغلاق المكب الرئيسي وصعوبة الوصول إليه فاقما الأزمة بشكل كبير.

ودعا السراج إلى ضرورة فتح المعابر وإدخال المعدات والمتطلبات الأساسية لتمكين البلديات من العمل على التخفيف من الآثار الكارثية للعدوان، وتمكينها من إدارة ملف النفايات بما يحد من المخاطر البيئية والصحية، موضحًا أن البلديات تبذل جهودًا متواصلة للتخفيف من معاناة المواطنين رغم التحديات.

وبين النفايات المتراكمة، ومياه الصرف الصحي، وانتشار القوارض والحشرات، لا تبدو الأزمة البيئية في غزة مجرد أثر جانبي للحرب، بل وجهًا آخر من وجوه المعاناة التي يعيشها السكان يوميًا، فيما تبقى الحاجة ملحّة إلى تدخلات عاجلة تعيد للمدن والنازحين أبسط مقومات الحياة

الحرب البيولوجية.. هكذا ننجو!

فريق التحرير

في عام ١٣٤٦، حاصر المغول مدينة "كافا" في شبه جزيرة القرم. ولم يستطيعوا اقتحام أسوارها لمدة شهرين تقريبًا، ففعلوا شيئًا غيّر مجرى التاريخ؛ إذ قذفوا جثث موتاهم المصابين بالطاعون بالمنجنيق إلى داخل المدينة، فتفشى الوباء بسرعة البرق بين السكان، وسقطت المدينة تحت وطأة المرض. وكانت تلك من أوائل وقائع الحرب البيولوجية الموثقة في التاريخ.

اليوم، وإسقاطًا على تعامل "إسرائيل" مع قطاع غزة، يبدو أننا أمام حرب بيولوجية ثانية، لكنها تُدار باقتدار وبطريقة مختلفة في غزة؛ فالاحتلال لا يحتاج إلى منجنيق لقذف الأوبئة، بل يصنع بيئة مثالية لانتشارها.

مع ثلاث سنوات من الإبادة الإسرائيلية، حتى وقت صياغة هذه المقالة، تراكم ما يصل إلى مليون طن من النفايات في عشرات المكبات المنتشرة في القطاع. وبينما ينتج السكان نحو خمسة آلاف طن من النفايات يوميًا، تتكدس القمامة في الشوارع وبين خيام النازحين، في مشهد يتجاوز كونه تهديدًا صحيًا وبيئيًا إلى ما يمكن وصفه بـ"هندسة ممنهجة للموت البطيء".

وفي تفاصيل تلك العبارة التي وُضعت بين هلالين، وبالعودة قليلًا إلى ما قبل الإبادة؛ كانت "إسرائيل" تعلم أن المكبات الثلاثة الواقعة شرق غزة قد انتهى عمرها الافتراضي منذ ١٥ عامًا، علمًا أن هذه المكبات تنتج "العصارة" أو "الراشح"، وهي مادة كيميائية سامة تضرب التربة والمياه الجوفية. لذلك، عمد الاحتلال إلى السماح للتجار بإدخال آلاف الأطنان من الخردة والأجهزة الكهربائية المستخدمة وذات العمر القصير، لزيادة العبء على تلك المكبات التي كانت أصلًا خارج الخدمة، وبالتالي زيادة نسبة "العصارة" الصادرة عنها، لتصبح عملية تلويث التربة والمياه أسرع وأكثر جدوى.

ومنذ اليوم الأول للحرب، قصفت إسرائيل البنية التحتية لمحطات الصرف الصحي الـ١٤، وقصفت مقرات البلديات ومخازن تشغيلها، كما دمرت أحواض الصرف الصحي، وقتلت العشرات من العاملين في البلديات وأصابت المئات منهم.

وأمام عملية إعطاب جهود البلديات في التخفيف عن المواطنين، منعت قوات الاحتلال عمال البلديات من نقل النفايات المتكدسة في الشوارع وبين الخيام إلى المكبات الرئيسية الثلاثة. وهنا ازدادت أعداد المكبات العشوائية، التي كان عددها قبل الحرب ٨٤ مكبًا.

هذا التكديس المتعمد حوّل خيام النازحين إلى حاضنة وبائية عملاقة؛ فلم نعد نتحدث عن آفات طبيعية فحسب، بل عن جيل من "الجرذان المستوحشة" المهجنة، و"العِرْس" المفترسة التي باتت تهاجم الأطفال الرضع في مضاجعهم، بالتوازي مع أسراب من البعوض والحشرات المجهولة التي تنهش أجساد الصغار والكبار، مسببة أمراضًا جلدية وتقرحات.

وتكشف بعض التقارير أن خبراء إسرائيليين عدّلوا جينيًا بعض القوارض، فأصبحت أكثر شراسة وأكبر حجمًا، وأدخلوها إلى قطاع غزة منذ بدء الحرب.

وتتفاقم الكارثة مع حظر الاحتلال دخول المبيدات، ليرتفع سعر ما ندر منها إلى أرقام فلكية تعجز العائلات عن دفعها، فيُجرّد السكان من خط دفاعهم الكيميائي.

عزيزي القارئ.. هذا الاستعراض السريع يؤكد لك المؤكد: أنك في حرب على مدار اللحظة، وأن خطواتك محسوبة ومدروسة، وأن إهمالك للنظافة الشخصية والعامة، مثلًا، أكبر من أن يكون إهمالًا عابرًا؛ بقدر ما هو نقاط تتقدم بها "إسرائيل".

ولأن الشيء بالشيء يُذكر، نفتح السؤال المفتوح والثابت دائمًا من قسم التحرير: ما المطلوب أمام هذا الواقع؟!

نحن لسنا خبراء في عمل البلديات، ولم نخضع لدورات مكثفة في آليات التعامل مع تكدس النفايات، لكن من بديهيات القول إن اهتمامك بنظافتك الشخصية، ونظافة المكان الذي تنام وتأكل فيه، والحفاظ على المكان العام الذي تتواجد فيه، هو الحد الأدنى مما هو مطلوب. فلم يعد الأمر بعدًا أخلاقيًا ووعيًا فحسب، بقدر ما أصبح مهمة وطنية في المقام الأول.

أما من الناحية الجماعية، فأولى خطوات النجاة هي تكاتف حيوية الشباب مع حرص الكبار، من خلال إطلاق حملات يومية لرفع مستوى النظافة، باستخدام الأدوات المتاحة لهم.

عودة إلى لفتة تاريخية؛ بعد سقوط ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وفي ظل مقتل مئات الآلاف من الرجال والشبان، أخذت النساء زمام الأمور، وبقين ١٢ عامًا يرفعن ركام الحرب ويشقن الطرق، لتتحول ألمانيا لما نحن فيه الآن.

اقتصاد الركام في غزة..
عن سد احتياجات الأسواق

مخيم - قيس عليان

تحولت أكوام الركام المنتشرة في قطاع غزة من مجرد شاهد على الدمار الذي خلفته الحرب إلى مصدر جديد للرزق وموارد تعاد إدخالها في دورة اقتصادية استثنائية، بفعل الحاجة ونقص السلع وإغلاق المعابر.

وبين الأنقاض، يبحث غزيون عن الحديد والأسلاك والأخشاب والأجهزة الإلكترونية وغيرها من المواد التي يمكن إنقاذها وبيعها أو إصلاحها وإعادة استخدامها.

ومع منع دخول السلع والمواد الخام إلى الأسواق، بسبب إغلاق المعابر والقيود المفروضة على إدخال العديد من الاحتياجات برزت الحاجة إلى البحث عن بدائل محلية. وهنا بدأ الركام يلعب دورا غير مسبوق إذ تستخرج منه مواد كانت في السابق جزءا من المباني والمحال والمنازل، ثم تنقل إلى الأسواق لتباع كسلع أو مواد خام، في ظاهرة باتت تعرف بين العاملين فيها بـ"اقتصاد الركام".

من الركام للأسواق

وتجدر الإشارة إلى أن الأمر لا يقتصر على جمع المخلفات وإعادة استخدامها بالمعنى التقليدي لمفهوم إعادة التدوير، وإنما يتشكل تدريجيا سوق متكامل له بائعوه ومشتروه وعماله وفنيوه. فالأسلاك والحديد والأخشاب والأجهزة الإلكترونية وقطع الغيار تنتقل من تحت الأنقاض إلى البسطات

والورش والأسواق لتمنح بعض الأسر مصدرا للدخل وتوفر في الوقت ذاته احتياجات يصعب الحصول عليها عبر قنوات الاستيراد المعتادة.

يعمل المواطن سامي حسين في استخراج الأدوات والمواد القابلة للاستخدام من تحت الركام ثم بيعها في الأسواق المحلية. ويقول حسين إن العمل في هذا المجال أصبح وسيلة أساسية بالنسبة إليه لتوفير دخل لأسرته في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها القطاع.

يوضح أن عملية البحث قد تستغرق ساعات طويلة، لكن العثور على قطعة حديد أو أسلاك أو جهاز يمكن إصلاحه يعني إمكانية بيعها والاستفادة من ثمنها.

ويؤكد حسين أن هذه المهنة لم تعد مجرد عمل مؤقت وإنما أصبحت ضرورية بالنسبة له ولغيره ممن فقدوا مصادر دخلهم خلال الحرب. ويلفت إلى أن ما يستخرجه من تحت الأنقاض يساعده في إعالة أسرته وتأمين احتياجاتها الأساسية، خصوصا في ظل ارتفاع الأسعار ونقص فرص العمل.

يشير إلى أن جزءا من أهمية عمله يتمثل في توفير حاجيات لا تدخل إلى غزة بسبب القيود المفروضة على المعابر. ويضيف: "نحن نبحث تحت الركام عن الأشياء التي يحتاجها الناس ولا يجدونها في الأسواق، بعضها يمكن إصلاحه وبعضها يباع كقطع غيار أو مواد خام".

في مواصي خانيونس، تظهر إحدى صور هذا الاقتصاد الجديد على بسطة أحمد عبد السلام، الذي يبيع الأسلاك وقطع الإلكترونيات التي يشتري جزءا منها من أشخاص يستخرجونها من تحت الركام.

ويقول عبد السلام إن الطلب على هذه المواد ارتفع بشكل كبير، خصوصا مع منع إسرائيلي مطلق للحصول على العديد من القطع والأجهزة من خارج القطاع.

يضيف: "الزبائن يقصدونني بحثا عن أسلاك وقطع إلكترونية وأجهزة يمكن استخدامها في إصلاح معدات أخرى، بعض هذه المواد كانت متوفرة في الأسواق قبل الحرب لكن نقصها حاليا جعل حتى القطع القديمة أو المستعملة ذات قيمة كبيرة".

يشير إلى أن هناك إقبال كبير على الأسلاك والإلكترونيات التي يبيعها على البسطة لأن الناس تحتاج إليها ولا تجد البديل بسهولة.

يعمل عبد السلام على شراء الإلكترونيات من الأشخاص الذين يستخرجونها من تحت الركام ثم يفحصها ويصلح الأجهزة التي يمكن إعادة تشغيلها قبل طرحها للبيع من جديد. أما الأجهزة التي لا يمكن إصلاحها، فيحاول الاستفادة من مكوناتها وقطعها الداخلية بما يسمح بإعادة استخدامها في إصلاح أجهزة أخرى.

يؤكد على أن أهمية هذه الإلكترونيات تتضاعف بسبب عدم دخول العديد من أنواعها إلى القطاع منذ بداية الحرب قبل قرابة ثلاثة أعوام. ويقول إن إعادة استخدام الأجهزة القديمة وإصلاحها يوفران للناس خيارات محدودة لكنها ضرورية في وقت أصبحت فيه عملية شراء أجهزة جديدة أو إدخالها من الخارج شديدة الصعوبة.

مورد اقتصادي مهم

يتجاوز ما يحدث في غزة اليوم فكرة "إعادة التدوير" بالمعنى التقليدي، فنحن أمام ولادة اقتصاد موازي تشكل تحت ضغط الحرب والحصار وانهيار السوق الرسمي. ففي الوقت الذي تتعطل فيه سلاسل الإمداد وتختفي المواد الخام ويتوقف الاستيراد تبدأ المجتمعات تلقائيا في إنتاج بدائلها الخاصة مهما كانت بدائية.

وفي الاقتصاد قاعدة واضحة، وهي أن الندرة تعيد تعريف قيمة الأشياء. وهذا ما يظهر بوضوح في غزة، فالركام

الذي يقدر وفق تقارير أممية بنحو ٦٨ مليون طن لم يعد مجرد مخلفات حرب وإنما تحول إلى أصل اقتصادي قابل للتداول والاستخدام، فما كان يعد في السابق نفايات أصبح اليوم مادة يمكن بيعها أو إصلاحها أو تحويلها إلى منتج آخر.

بدوره، يقول المختص في الشأن الاقتصادي محمد الدريملي إن الحديد المستخرج من الأبنية المدمرة أصبح مادة خام تدخل مجددا في السوق، فيما دخلت الأخشاب التالفة في دورة إنتاج جديدة وحتى البلاستيك المحترق أصبح جزءا من سوق بديل نشأ خارج الأطر الطبيعية للاقتصاد.

ويضيف الدريملي: "قيمة هذه المواد لم تعد مرتبطة بحالتها الأصلية وإنما بقدرة الناس على الاستفادة منها في ظل النقص الحاد في السلع"، مشيرا إلى أن الأخطر والأكثر دلالة هو أن الحرب لم تدمر البنية التحتية فقط وإنما أعادت تشكيل "هيكل السوق" نفسه.

يوضح أن الاقتصاد الذي كان يعتمد بدرجة كبيرة على الاستيراد والخدمات وتدفق السلع من الخارج، يتشكل فيه تدريجيا اقتصاد قائم على الاستخراج من الدمار وإعادة توظيفه. ويقول إن الركام بات يؤدي وظيفة مستودع ضخم للمواد التي يحتاجها السوق.

يرى الدريملي أن هذا النوع من الاقتصادات يظهر عادة في مناطق الحروب الطويلة والدول المعزولة، حيث تتحول المخلفات إلى موارد وتصبح القدرة على الإصلاح وإعادة الاستخدام أهم في بعض الأحيان من القدرة على الإنتاج.

يشدد على أن ما يحدث في غزة يعكس قدرة المجتمع على خلق آليات اقتصادية بديلة عندما تتعطل الآليات التقليدية، لكنه في الوقت ذاته يكشف عمق الأزمة التي دفعت السكان إلى البحث عن احتياجاتهم داخل المباني المدمرة.

ويؤكد أن الظاهرة تحمل بعدين متناقضين، فمن جهة تعكس مرونة المجتمع وقدرته على التكيف وإيجاد مصادر دخل ومواد بديلة في أصعب الظروف، ومن جهة أخرى تكشف حجم الانهيار الاقتصادي.

هكذا تتحول عملية استخراج المواد من الركام في غزة إلى أكثر من مجرد وسيلة لكسب المال أو التخلص من مخلفات الحرب، فهي دورة اقتصادية نشأت قسرا تحت وطأة الحصار ونقص السلع وأصبحت فيها الأسلاك والحديد والأخشاب والإلكترونيات جسرا بين مدينة مدمرة وسكان يحاولون تأمين احتياجاتهم.

هكذا قتلت "إسرائيل" أطفال عائلة الصليبي

مخيم - حمزة أبو الطرابيش

بعض العوائل في مخيم جباليا، مُسحت من السجل المدني من الهجمة الأولى التي تعرضت لها، لكن هناك عشرات العوائل نجت من عدة محاولات لشطبها، وكانت تنزح داخلياً في المخيم، وفي آخر المطاف نجحت إسرائيل من مسحها. من بين إحدى تلك العوائل التي كانت تصارع الموت، وتحتمي من مكان إلى آخر قبل رحيلها، عائلة الصليبي، التي يبعد منزلهم عن منزلنا في بلوك "٧" متراً واحداً.

عائلة الصليبي لديها خمسة أبناء جميعهم متزوجون، أقل واحد فيهم لديه طفلان، لم يمضوا قدماً في مسيرتهم التعليمية، لكنهم ركزوا طاقاتهم في الأعمال الحرفية ونجحوا فيها؛ كل شخص فيهم عثر على مهنة لمَسك رمق عائلته. في الصغر عاش أبناء عائلة الصليبي، ظروفاً قاسية، كانت أمهم ليلى (٥٤ عاماً) مريضة كلى، وتوفيت وهم صغار، إذ اجتمع عليهم اليُتم والفقر.

تعيش العائلة في منزل مغطى بالقرميد، مساحته ١٢٠ متراً، فيه أربع غرف صغيرة، كل شاب وزوجته وأطفاله، ومن لم يجد له مكاناً يستأجر في شقق مختلفة الأماكن في المخيم. توزيع العائلة في ذلك المنزل كالتالي، في غرفة يعيش الأب جميل (٦٣ عاماً) والذي تزوج بامرأة ثانية تدعى أمل الأدغم (٥٢ عاماً)، أنجب منها تامر (١٤ عاماً)، وتالا (١٢ عاماً).

في الغرفة الملاصقة يعيش ابنه فادي (٣٥ عاماً) وزوجته تمارا الزعنون (٣٤ عاماً)، ولديهما من الأطفال أنس (٩ أعوام) ورغد (١١ عاماً). فادي، يعمل حارس أمن لجمعية ثقافية متخصصة في التراث الفلسطيني. أما عن الغرفة الثالثة، فهي مسكن نايف (٣٦ عاماً) وزوجته نور كلوب (٢٣ عاماً)، ولديهما من الأطفال، وسيم (أربعة أعوام) ولؤي (عامان).

وعن الغرفة الأخيرة، هي عائلة أحمد (٣٢ عاماً) وزوجته هدى التلولي (٣١ عاماً)، ولديهما طفلان صغيران محمد (أربعة أعوام) وليلى (عامان)، أحمد كان عاملاً متجولاً. شقيقهم الأكبر وجدي (٣٨ عاماً) مستأجر شقة صغيرة ملاصقة لمنزل والده، يعيش مع زوجته ليلى (٣٥ عاماً)، ولديهما من الأطفال، يزن (عشرة أعوام)، ومجد (١٤ عاماً)، يعمل وجدي شرطياً.

كذلك الأمر في ما يخص محمود (٣٣ عاماً) المتزوج بسها بركات (٢٥ عاماً)، استأجر شقة في بلوك "٢" الواقع على الطرف الجنوبي من مخيم جباليا، لديه ثلاثة أطفال إناث (حور وليلى أربعة أعوام) ووتين عامان، الآن هو موجود في مدينة نابلس، كان قد سافر إلى الضفة المحتلة بحثاً عن عمل. أما شقيقتهم الوحيدة نداء (٢٤ عاماً) فمنفصلة عن زوجها ولديها طفل يدعى أحمد (أربعة أعوام)، اتخذت صالون المنزل مبيتاً لها مع طفلها.

عصر يوم ٣١ أكتوبر ٢٠٢٣، ذهب نداء وزوجة وجدي التي تدعى ليلى، إلى مخبز عجور لتأمين العائلة بالخبز، لكنّ السيدتين، تبخرت أجسادهما وأي معلومة عنهما، حين ألقت الطائرات الحربية الإسرائيلية ست قنابل على حي "السنايدة" حيث يقع مخبز عجور، واستشهد في تلك المذبحة ٦٠٠ شخص، أغلبهم لم يتم العثور عليهم ومن بينهم نداء وليلى.

بعد ليلتين، أي في ليلة ٢ نوفمبر ٢٠٢٣، نفذ الجيش الإسرائيلي حزاماً نارياً على بلوك "٧"، لحسن الحظ نجا جميع عائلة الصليبي، ولم يتعرض أحد منهم لأي خدش، لكن المنزل لم يعد صالحاً للسكن، فانتقلوا جميعهم إلى الشقة التي استأجرها محمود في بلوك "٢" في المخيم.

ظنت العائلة أنها بمأمن عن آلة الموت الإسرائيلية؛ في حدود الساعة الرابعة فجراً من تاريخ ٦ ديسمبر ٢٠٢٣، مسحت الطائرات الحربية مربع سكني كامل في بلوك "٢" بعد ما ألقت ثلاث قنابل ثقيلة في غضون نصف دقيقة، من بين تلك المنازل التي تحولت إلى حفرة كبيرة، هي شقة محمود، وقتل أغلب من كانوا فيه، وقدر عدد القتلى في ذلك المربع المستهدف ١٠٠ شهيداً.

استشهد جميع أطفال ونساء عائلة الصليبي، ونجا سبعة أشخاص، هم الصغيران تامر وتالا، ونايف وزوجته نور، ووجدي، وأحمد وفادي. الأبناء جميعهم على قيد الحياة، لكن زوجاتهم وأطفالهم اختلطت عظامهم بالركام.

يقول وجدي كبير العائلة :" ابني الشهيد الطفل يزن؛ استشهد يوم الطفل العالمي؛ كان يُخبرني دائمًا أنه عندما سيسقط الصاروخ عليه، سيصعد فوقه ويطير به نحو القمر ليكتشفه، لم يفهم أن الصاروخ قادم ليجعله أشلاء (..) إنها براءة طفل في عالم قذر".

بعد ثلاثة أسابيع، من تلك المذبحة، تمكن شبان عائلة الصليبي، من انتشال جثامين ذويهم، كانوا عبارة عن أشلاء، دفنوا جميعهم في قبر واحد. جزء منهم بقي محاصراً في مخيم جباليا، في الوقت الذي كانت تتم فيه الحملة العسكرية. فيما اتخذ شقيقهم نايف مساراً مختلفاً، بعد المجزرة، حين نزح مع زوجته إلى جنوب قطاع غزة، وسكن خيمة.

من المفارقات الغريبة في حكاية نايف، أن زوجته أنجبت في التاريخ الذي استشهد فيه أطفالها وأطلقت على الوافد الجديد اسم لؤي. يعلق نايف: "قبل عام استشهد طفلي لؤي الأول، وهذا العام رزقني الله بلؤي ثان، نحاول تجاوز ما حصل لنا، ومحاولة إعادة بناء شجرة العائلة".

ملاحظة (كتبت هذه القصة في أكتوبر عام ٢٠٢٤، ضمن سلسلة قصص من كتاب مجازر مخيم جباليا الجزء الأول لذات الكاتب).

شخصيات وأيقونات

ختام الوصيفي..
ماذا تخسر غزة حين يُقتل عالم؟

لم تكن ختام يوسف الوصيفي مجرد أستاذة جامعية في الفيزياء؛ كانت واحدة من الوجوه الأكاديمية التي كرّست سنوات من حياتها للعلم والتعليم والبحث في قطاع غزة، قبل أن تنتهي حياتها تحت القصف.

وُلدت ختام الوصيفي عام ١٩٦٦، وبدأت رحلتها التعليمية من مدارس القطاع. حصلت على الثانوية العامة عام ١٩٨٤، ثم التحقت بالجامعة الإسلامية، حيث درست الفيزياء والرياضيات، قبل أن تتخصص في الفيزياء وتتصدر دفعتها عند تخرجها عام ١٩٩٤.

لم تتوقف رحلتها عند البكالوريوس. حصلت على الماجستير في الفيزياء عام ٢٠٠٢، وكانت أول طالبة تحصل على درجة الماجستير في الفيزياء من الجامعة الإسلامية، ثم واصلت أبحاثها حتى نالت الدكتوراه في الفيزياء الحيوية من جامعة العلوم والتكنولوجيا في السودان عام ٢٠١٠.

داخل الجامعة الإسلامية، تحولت من طالبة إلى باحثة وأستاذة وقيادية أكاديمية. عملت معيدة، ثم أستاذًا مساعدًا، وشغلت رئاسة قسم الفيزياء، كما تولت منصب نائب عميد كلية العلوم، وتذكر مصادر أنها حصلت على درجة الأستاذية في الفيزياء عام ٢٠٢١.

وخلف الألقاب الأكاديمية، كانت أمًا لسبعة أبناء؛ أربعة أولاد وثلاث بنات، وهو ما جعل رحلتها العلمية أكثر تعقيدًا وإصرارًا، في مجتمع تحاصر فيه الحرب والحصار فرص التعليم والبحث العلمي.

نشرت الوصيفي أكثر من ٦٠ بحثًا علميًا في مجلات دولية، وشاركت في مؤتمرات ومحاضرات علمية، كما حصلت على جائزة البحث العلمي من الجامعة الأردنية عام ٢٠١٧، وكرمت من وزارة شؤون المرأة الفلسطينية عام ٢٠٢٢ ضمن مسابقة «امرأة فلسطين» في المجال الفكري.

في الأول من ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٣، استشهدت ختام الوصيفي وزوجها الأكاديمي الدكتور محمود أبو دف، إلى جانب أفراد من الأسرتين، في قصف إسرائيلي على مدينة غزة. وتوثق مصادر فلسطينية وأكاديمية أن استشهادها جاء ضمن موجة استهداف واسعة طالت أكاديميين وشخصيات علمية في القطاع.

رحلت ختام الوصيفي، لكن سيرتها بقيت تحمل سؤالًا أكبر من قصة فرد واحد:

ماذا تخسر غزة حين يُقتل عالم؟

لا تخسر أسرةً وأمًا فقط، ولا تفقد الجامعة أستاذةً وباحثةً فحسب؛ بل ينقطع مسار علمي كامل، وتغيب خبرة تراكمت عبر سنوات من الدراسة والبحث والتدريس.

كانت ختام واحدة من نساء غزة اللواتي حوّلن التعليم إلى طريق للصمود، والجامعة إلى مساحة لمقاومة التهميش بالمعرفة.

ولهذا، فإن استعادة سيرتها اليوم ليست استعادةً لاسم شهيدة فحسب؛ بل محاولة لتذكّر عالمة فلسطينية كان يمكن أن تواصل البحث والتعليم، وأن تكون قيمة مضافة لـ الفيزياء.

الطائرات الورقية وحصار السماء

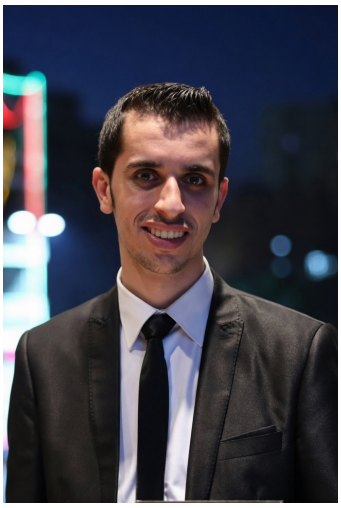

أحمد أبو قمر

لم يعد غريبا أن تتحول أبسط تفاصيل الحياة في غزة إلى قضية أمنية في نظر إسرائيل. فالطائرة الورقية التي يصنعها طفل من أعواد خشبية وورق ملون وخيط ويطلقها في السماء بحثا عن لحظة فرح وسط الحرب والحصار، أصبحت في الرؤية الإسرائيلية هدفا يستحق القضاء عليه.

الفكرة تتجاوز الطائرة الورقية ذاتها، فهي تعكس رغبة إسرائيلية في فرض السيطرة على كل ما يتحرك في غزة، السيطرة على البر والبحر والحدود والسماء. ولو كان بالإمكان منع الهواء نفسه من الوصول إلى القطاع لربما أصبح الهواء أيضا موضع نقاش أمني.

غزة التي يعيش سكانها تحت قيود خانقة منذ سنوات، تبدو لكثيرين كسجن كبير، فالحركة مقيدة وإدخال الغذاء والدواء والسلع يخضع لقيود شديدة والخروج من القطاع ليس أمرا متاحا بحرية.

وفي هذا الواقع، يصبح اللعب بالنسبة إلى الطفل أكثر من مجرد تسلية، فهو مساحة صغيرة للهرب من الخوف ومحاولة لاستعادة شيء من طفولته المسلوبة.

فالطائرة الورقية ليست مجرد لعبة في سماء غزة وإنما نافذة صغيرة على الحرية، يمسك الطفل خيطها بيده بينما تحلق هي فوق الحواجز والأسلاك وكأنها تحقق ما يعجز هو عن تحقيقه. وفي لحظة قصيرة يشعر الطفل أن السماء ما زالت متاحة له وأن الحرب لم تستطع مصادرة كل شيء.

وبعد منع دخول كثير من ألعاب الأطفال، لجأ أطفال غزة إلى صناعة ألعابهم بأنفسهم وكانت الطائرات الورقية واحدة من أبسطها وأكثرها انتشارا. يرسمون عليها الأعلام والأشكال ثم يطلقونها في السماء وكأن الطفل يقول للحرب، ما زلت أستطيع أن أفرح.

لكن حتى هذه المساحة الضيقة لم تسلم من التهديد، فقد حذر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، من استمرار وصول الطائرات الورقية من غزة، ملوحا باستهداف المسؤولين عنها وإخلاء السكان من المناطق التي تنطلق منها. ووصل الأمر إلى تقديم إسرائيل شكوى إلى "مجلس السلام" الذي يرأسه الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بحسب مسؤول إسرائيلي.

المفارقة المؤلمة أن طفلا يبحث عن دقائق من الفرح يمكن أن يجد نفسه في الحسابات العسكرية، جزءا من معادلة أمنية.

وهنا تكمن القصة الحقيقية، عندما تصبح طائرة ورقية تهديدا فإن المشكلة تكمن في واقع يريد أن يجعل غزة بلا مساحة للحركة ولا للفرح ولا حتى للتحليق.

المغراقة.. قرية الماء

لم تأتِ تسمية المغراقة من فراغ؛ فبحسب الرواية المتداولة، بطبيعتها الجغرافية المنخفضة والقريبة من وادي غزة، حيث كانت مياه الأمطار تتجمع في أراضيها، ما جعلها عرضة للغمر والفيضانات في مواسم الشتاء.

من هنا ارتبط المكان بفعل "غرق"، فأصبح يُعرف باسم "المغراقة"، في إشارة إلى الأراضي التي كانت تغمرها المياه.

وتعرف المنطقة أيضًا باسم "أبو مدين"، نسبةً إلى قبيلة أبو مدين التي استقرت فيها، في واحدة من التسميات التي تعكس تاريخ المكان وتعدد الروايات المرتبطة بنشأته.

تبلغ مساحة المغراقة نحو ٣,٢٦ كم²، أي حوالي ٣,٢٦٠ دونمًا وفق بيانات منشورة استنادًا إلى بيانات عام ٢٠١٧.

تقدير السكان عام ٢٠٢١، بلغ نحو ١٢,٥٢٧ نسمة وفق تقديرات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني.

يحمل اسم المغراقة في طياته شيئًا من جغرافيا المكان وذاكرته؛ فالماء الذي كان يومًا جزءًا من طبيعتها، ترك أثره حتى في اسمها.

أخبار محلية

نشر إيتمار بن غفير فيديو مولّدا بالذكاء الاصطناعي يتباهى فيه بتجويع الأسرى الفلسطينيين، بالتزامن مع نشره مشاهد مهينة للأسيرات، ما فجّر موجة غضب على المنصات وأعاد اتهامات بتوظيف معاناة الأسرى.

بلدية غزة تناشد بتوفير الاحتياجات الطارئة لحماية مراكز الإيواء خلال الشتاء .

اطلقت سلطة المياه وجودة البيئة، واتحاد بلديات قطاع غزة مناشدة عاجلة بعد تفاقم الأوضاع البيئية والصحية في قطاع غزة، مؤكدةً أن القطاع يواجه واحدة من أخطر الكوارث البيئية والإنسانية في تاريخه نتيجة الحرب المستمرة وما خلفته من دمار واسع طال البنية التحتية والخدمات الأساسية.

حذر اتحاد بلديات قطاع غزة من انهيار وشيك في منظومة المياه والصرف الصحي، بسبب شح الزيوت والوقود اللازمين لتشغيل المولدات والآبار ومحطات الضخ، بما يهدد السكان بالعطش ويزيد المخاطر الصحية والبيئية في القطاع.

وفق معطيات نشرتها وزارة الصحة في قطاع غزة، ارتفعت حصيلة الشهداء منذ بدء وقف إطلاق النار في ١١ تشرين الأول/أكتوبر إلى أكثر من ١,٣٢٣ شهيدًا، فيما بلغت الإصابات ٤,٣٨٥، إضافة إلى ٨١٥ حالة انتشال.
وبذلك ترتفع الحصيلة الإجمالية منذ بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في ٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣ إلى ٧٣,٤٥٩ شهيدًا و١٧٤,٤٩٦ مصابًا.

المفارقة المؤلمة أن طفلا يبحث عن دقائق من الفرح يمكن أن يجد نفسه في الحسابات العسكرية، جزءا من معادلة أمنية.
وهنا تكمن القصة الحقيقية، عندما تصبح طائرة ورقية تهديدا فإن المشكلة تكمن في واقع يريد أن يجعل غزة بلا مساحة للحركة ولا للفرح ولا حتى للتحليق.

مخيم

@MOKHY3M

تابعونا على انستجرام

غزة - فلسطين

سبتمبر ٢٠٢٦